دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، صيف ۱۳۹۸، العدد الثانی والأربعون: صص ۹- ۲۷

موتيف البحر والشاطئ فی ديوان ردّ الطلاسم لمحمد جواد الجزايری

نفيسه حاجی رجبی*
حسن عبدالهی**

تاريخ الوصول: ۹۸/۲/۱۳
تاريخ القبول: ۹۸/۵/۸

الملخص

الموتيف(Motif) تعنی فی الأدب، الفكرة الرئيسية أو الموضوع الذی يتكـرر فـی النتـاج الأدبی أو المفردة المكرّرة أو الحافز والباعث. والموتيفات فی العمل الأدبی تحمل دلالات وايحاءات رمزية وثيقة الصلة بنفسية الشاعر وتوجهاته وآرائه. قد ظهـرت الموتيفـات فـی شعر الشاعر العراقی محمد *جواد الجزايری* ضمن أشكال ومحاور مختلفة منها المضامين والمفردات والرموز. من أهم موتيفاته الرمزية التی قـد وظّـف *الجزايـری* لإبـراز المسـائل الفلسفية وتحمل دلالات، موتيف "البحر" و"الشاطئ"وما يتعلّق بهما. فقـد وردت هاتـان المفردتان فی شعره بكثافة ولقـد انزاحـت عـن معناهـا الحقيقـی لتحمـل دلالات ورؤی جديدة، فللبحر تداعيات وتجليات كثيرة فی لغة الجزايری التصويرية، فهـو رمـز الوجـود العام الطبيعی المنبسط، وواجب الوجود لذاته وبذاته، وأحياناً النفس الانسانی، كما يرمـز للعالم الجسمانی والدنيا. "الشاطئ" رمز لحدّ وجـود عـام، وعـالم المـادة والـدنيا، وأيضـاً الزمان الماضی والمستقبل، وحدّ الموجودات الخاص الطبيعـی وإعتباريـة الماهيـة. هـذه الدراسة التی اعتمدت فی خطتها على المنهج الوصفی- التحليلی، ترصد هـذه المفـردات ودلالاتها فی تجربة الشاعر.

الكلمات الدليلية: الشعر العراقی الحـديث، الموتيـف، محمـد جـواد الجزايـری، البحـر، الشاطئ.

* طالبة الدكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسی مشهد. hnafice@yahoo.com
** أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة فردوسی مشهد. hsnabdoiiahi@yahoo.com
الكاتبة المسؤولة: نفيسه حاجی رجبی

المقدمة

الموتيف قد يكون كلمة(فعلاً أو اسماً أو حتى أداة)، وقد يكون فكرة أو جملة أو تعبير يتكرر فی مرحلة ما، عند شاعر محدد، أو شعراء مرحلة، أو يصبح "لازمة" تتكرر فی فترة تاريخية معينة. وهو يساعدنا فی تفهم أسلوب الشاعر والأديب مثلما يشير إلى القضايا أو الأفكار التی كانت تشتغل ذهنه ليضخّ من خلاله ما يتراكم فی داخله وما يتعمل فی صدره، وليفرّغ الشحنات التی تتصادم وتقدح بين أضلاعه كعملية تنفيس وتخليص (البلاوی، ١۴٣۴ق: ٢). يُعد الموتيف فی شعر *الجزايری* من الظواهر التی تستخدم لفهم النص الأدبی؛ ولا يقوم فقط على مجرد التكرار فی السياق الشعری، وإنما ما يتركه هذا التكرار من أثر انفعالی فی نفس المتلقی، فإنه يعكس جانباً من الموقف النفسی والانفعالی. وقد حاول الشاعر العراقی محمد *جواد الجزايری* أن يجعل من الموتيف أداة جمالية تخدم الموضوع الشعری، وتؤدی وظيفة جمالية تساعد على إثراء الدلالات والبناء الشعری، وتكشف عن الإلحاح أو التأكيد الذی يسعى إليه. وقد تطرّقنا فی هذه الدراسة إلى موتيف البحر والشاطئ فی شعر محمد *جواد الجزايری* كنموذج للموتيفات التی ترد كثيراً فی شعره. قد ورد موتيف البحر أكثر من ثلاثين مرة وموتيف الشاطئ أكثر من عشرين مرة، وأيضاً نشاهد حضور موتيفات ما يتعلق بهما كالنهر والأمواج؛ هذه الموتيفات قد انزاحت عن معناها الحقيقی لتحمل دلالات ورؤى جديدة. أما المنهج الاسلوبی الذی اتخذنا طريقاً لهذه الدراسة فلايقف عندعملية رصد الموتيفات وإحصائها فی النص، وإنّما يتجاوز ذلک إلى عملية النقد والتحليل والتوضيح للمعانی التی ينطوی عليها العمل الإبداعی.

الأسئلة وفرضيات البحث

ما مدى حضور رموز البحرية والشاطئية فی شعر *الجزايری* باعتبارها موتيفات مكرّرة؟

ما هو أثر هذه الموتيفات على فكرة المخاطب؟

ما هی الرموز والدلالات التی تحملها هذه الموتيفات فی شعر *الجزايری*؟

موتيف البحر والشاطئ فی شعر *الجزايری* من الموتيفات التی ترد كثيراً فی شعره. قد ورد موتيف البحر أكثر من ثلاثين مرة وموتيف الشاطئ أكثر من عشرين مرة وأيضاً نشاهد حضور موتيفات ما يتعلق بهما كالنهر والأمواج.

استعمل هذین الموتیفین لتجعلا القارئ والمستمع یعیش الحدث الشعری المکرّر وتنقله إلی أجواء الشاعر الفلسفیة.

رمز الشاعر بالبحر إلی الوجود العام الطبیعی المنبسط، واجب الوجود لذاته وبذاته، النفس الانسانی، العالم الجسمانی والدنیا؛ ورمز بالشاطئ إلی حدّ امکان الوجود الطبیعی العام، وعالم المادة والدنیا، والزمن الماضی والمستقبل، واعتباریة الماهیة.

خلفیة البحث

هناک دراسات عن الموتیف، منها مقالات تحت عنوان «موتیف النهر والبحر فی شعر یحیی السماوی»، «موتیف استدعاء الشخصیات التراثیة فی شعر یحیی السماوی»، «موتیف الإغتراب فی شعر یحیی السماوی» کتبها *الدکتور رسول بلاوی*. تطرق فیه الکاتب إلی ایحاءات ودلالات جدیدة تحمل هذه الموتیفات. کما کتب محمد *تقوی* مقالة تحت عنوان «موتیف چیست و چگونه شکل می‌گیرد» درس الباحث فیها عن الموتیف وهی الفریدة من نوعها فی هذا المجال.

ولکن البحث الحاضر یعدّ جدیداً، إذ إنه یقم بدراسة عن شعر محمد *جواد الجزایری* ولم یکتب حتی الآن مقال أو کتاب عنه فی ایران وأیضاً هذه الدراسات حول الموتیف لم تعالج الموتیف من منظر العرفان والفلسفة. وقد تطرقنا فی هذه الدراسة إلی موتیف البحر والشاطئ بما أنهما رمزان وذوا دلالتی الفلسفیة والعرفانیة.

تعریف الموتیف و وظیفتها

أصل الکلمة فرنسیة وقد دخلت فی اللغات العالمیة الأخری وهو عنصر فعال فی النقد وتحلیل النصوص الأدبیة فی الأدب الأوربی. تستخدم کلمة "الموتیف" فی فنون وعلوم مختلفة، منها الرسم والنحت والهندسة المعماریة والموسیقی والحیاکة والخیاطة والتصویر والأدب(تقوی، ۱۳۸۸ش: ۵-۴).

الموتیف هو فکرة أو جملة أو تعبیر یتکرر عند شاعر أو أدیب فی الأثر الأدبی أو قطعة من الشعر(oxford: 998). وتعرف هذه الکلمة بشکل عام بأنها الجزء المتکرر والمستمر الحامل لمعنی أو قیمة ثقافیة والذی یدخل فی تکوین الشکل أو البنیة أو المحتوی

لمختلف أنواع الإنتاج الثقافی(الشامی،٢٠٠٧م: ٢٩). وعرفت أيضاً بالموضوع الدّال، هو موضوع أو حدث قصصی أو شخصية أو فكرة أو عبارة تتكرر فی أدب ما أو مأثورات شعبية معيّنة، وقد يتكرر الموضوع الدّال فی عدة آداب. مثال ذلک شخصية شهرزاد. وقد يتكرر فی أدب واحد فی عصور مختلفة، وقد يتكرر فی الأثر أدبی الواحد(پارسانسب، ١٣٨٨ش: ١٢).

لا يخفی أنّ تكرار فكرة أو صورة أو رمزٍ ما حتی يصبح موتيفاً، يعنی أهمية تلک الفكرة/ الصورة/ الرمز عند الشاعر، حيث تضجّ وترغی فی رأسه حتی تملأ عليه نفسه، بمعنی أن للموتيف دلالة نفسية، فإن إلحاح الشاعر على تكرار بعض الجوانب يدل إلی انهماک الشاعر فی بُعد معين أو إستغراقه فی فكرة ما(اسماعيل،١٩٧٢م: ١٦٦). ثم يروح يقوّی بها ويمدّها بشرايين جديدة، تعطيها القوة والحيوية والألق، وتحقق لها حضورها وفاعليتها. وظيفة الموتيف هی المساهمة فی تطوير الموضوع الرئيسی للعمل الأدبی ومساعدة القارئ على فهم الرسالة الأساسية التی يقصد الكاتب للتواصل به(literary-devices.com/content/motif-).

أول دراسات حول الموتيف قد ظهرت فی النقد الأدبی الأروبی والأمريكی ولكننا فی الأدبين العربی والفارسی لم نعثر على دراسات حوله قبل عقدين من الزمن، فقد دخل من خلال النقد الأدبی الغربی معرضين عن أصوله وجذوره(البلاوی، ١۴٣٣ق:٣).

رمزية الموتيف وإنزياحه حسب السياق

إن الرمز الأدبی على نحو عام والشعری على نحو خاص لا يشير إلی دلالة محددة يتواطأ على إنتاجها جميع المتلقين، وإنما يوحی بدلالات تجريدية غامضة تنمو نمواً باطنياً من خلال نمو الرمز فی داخل السياق(عشری زايد، ١٩٧٨م:١١٢). ينبغی أن ندرک بوضوح أن استخدام الرمز فی السياق الشعری يكون أداة لنقل المشاعر المصاحبة للموقف وتحديد أبعاده النفسية. وفی هذا الضوء ينبغی فهم الرمز فی السياق الشعری ولا نستطيع فی معظم الأحيان تحديد معنی الكلمة إلا ضمن سياقها النصی لأن الكلمات مشحونة بالمعنی داخل النصوص. وقد تكون للموتيف وظيفة رمزية، فالمفردات عندما تتكرر فی أعمال الشاعر تحمل دلالات وايحاءات رمزيَة. بعبارة أخری تكرار العنصر الفعال فی النص

لكى يصبح موتيفا يضفى دلالات وايحاءات. عندما نقول مثلاً إن الشاعر قد استخدم موتيف "البحر" على سبيل المثال استخداماً رمزياً فلا معنى لقولنا عندئذ أن البحر هنا يرمز إلى الوجود العام والمنبسط مثلاً ما لم نتدبر هذا المعنى فى السياق الشعرى نفسه. فالبحر ليس رمزياً أبدياً ومطلقاً للوجود العام والمنبسط ولكنه يكون كذلك عندما يشحن الشاعر صورة البحر بمشاعر خاصة تستثير فى النفس. وإن الشاعر إذا ما رنا إلى البحر فإنه لا يذكر زرقته وموجه الهادر وإنما يتخذ البحر مادة للتأمل، إنه يرنو إلى ميتافيزيقية البحر من حيث غاياته وغاية الإنسان والوجود فيتحول الإنسان البحر والبحر الإنسان. كنموذج شاعرنا الجزايرى يتخذ من هذا "البحر" رمزاً للوجود العام الطبيعى المنبسط، واجب الوجود لذاته وبذاته، النفس الانسانى، العالم الجسمانى والدنيا أو يحيلنا البحر بوصفه رمزا غريزيا إلى كم كبير من المعتقدات التى يرى فى بحر الوجود.

رمزية البحر

البحر بوصفه رمزاً من الرموز لا يمكن فصله عن رمزية الماء بشكل عام، فالبحر رمز لحركية الحياة وفعّالياتها والخصب وديناميةالحياة، فهو مكان الولادة والتحوُّلات والبعث. إنه رمز لكل من خرج من البحر وإليه يعود. ويرمز إلى الحالة الانتقالية بين الممكنات التى ما زالت غير متشكِّلة والحقائق المشكَّلة. إنه وضعية متحرِّكة، وضعية اللايقين والشک، من هنا يكون البحر صورة للحياة وصورة للموت.

رمز البحر تضرب بجذوره فى القدم، فقد تعددت دلالات البحر وفق رؤية الإنسان إليه، وحسب تلمس جانب من جوانبه المتعددة فى كونه باعث الحياة والموت، فقد يتحول حينا إلى رمز للفوضى والتعب. البحر فى الميثولوجيا الشرق الأوسطية يرمز إلى الأبدية. والبحر يسمى مصدر كل شيء وجوهر الخلقة ومنبع الآلهة. فى الأدب العربى المعاصر تعددت دلالات الماء، والبحر بشكل غير مسبوق، متراوحة بين الجانب السلبى والجانب الإيجابى، فحيناً يأتى رمزاً للهشاشة وعدم استقرار الموازين البشرية وعدم الثبات واللاهوية التى تعانى منها الانسان فى مواجهة هذا العالم، ويمكن بسكونه الأبدى وعظمته واتساع آفاقه رمزاً للانهاية والأبدية والخلود(الأسود،٢٠٠٨م: ١٥-١٢). البحر عند معظم الشعراء، هو ملجأ الحلم والحقيقة، ومادة تضاف إلى التشكيل الشعرى للخروج بدلالات جديدة

ومتجددة، لأنه رمز للرحلة والمغامرة. البحر وضع بيئی حتمی، تعامل معه الشعراء بصور مختلفة، وجعله معبراً لذاتهم ولشجونهم، ورمزا للظروف التی تمر بهم(المصدر نفسه: ١٦). فی هذا السياق وظف الصوفية "البحر" رمزاً للامحدودية العلاقة بالخالق. وهذا الرابط بين الحب الإلهی والانقطاع إلی المولی. والعرفاء فهم يشبهون ويمثلون الله تعالی ومخلوقاته بالبحر والأمواج؛ فالله هو البحر والمخلوقات أمواجه وإنها أی الأمواج فی نفس الوقت بحر لأنها فانية فيه. فالبحر بمنزلة الوجود الحقيقی والموج المتكاثر تجليات وصور لحقيقة البحر. فالموج معنی عارض للبحر وحقيقة الأمر أن ليس هناک سوی البحر وموج البحر هو البحر وكذلک حال العالم فهو موج(خمينی، ١٣٧٥ش:٨٧).

حياة الشاعر وديوانه حل الطلاسم

ولد *الجزايری* فی النجف الأشرف، الحاضرة العلمية سنة ١٢٩٨ق، وقد انحدر من كبد الصحراء من بنی أسد، فقرأ العلوم العربية والرياضيات والأصول والفقه والفلسفة، والتزم التدريس فی هذه المعارف وقد تجمع حوله الكثير من الطلاب للإستفادة من علومه وأسلوبه الذی كان يتميز بالفصحی حتی فی حواره الإعتيادی(الامين، ١٩٩٥م، ج ۴۶: ٢٢٥). ساهم *الجزايری* فی الدفاع عن كيان الوطن عند هجوم المستعمر البريطانی ولم يستكن بعد الإحتلال. بل أسّس "جمعية النهضة" التی كانت أول جمعية سرية فی العراق عملت علی طرد المستعمر، وقامت بالثورة النجفية، وهيأت لثورة العراق الكبري. وقد أبلي *الجزايری* البلاء الحسن فی الدفاع وحركة التحرير، بيده ولسانه ونفسه وامكانياته حيث كانت خطبه الحماسية وقصائده الملهبة ومشاركته فی حمل السلاح فی جبهات القتال.

عندما المستعمر وشبكاته يحس بخطورة الجزايری فاعتقله زمناً فی بغداد فی معتقل أم العظام وعذب بالسجن الرياضی ونقل إلی سجن الشعيبة بصورة قاسية وحكم عليه بالإعدام. وتحت الضغط علی المستعمرين أبدل الحكم إلی التعذيب والسجن والنفی سنة وعشرة أشهر. عاد *الجزايری* إلی عرينه، وكرر الجهاد دائباً علی العمل المجدی لإشعال نار الثورة العراقية الإستقلالی. فحكم عليه من قبل المستعمرين بالإعدام للمرة الثانية، وأسموه الخصم العنيد فخرج إلی جبال حمرين وبقی فی الغربة حتی صدور العفو العام. اختاره الله إلی جوار رحمته فی النجف سنة ١٣٧٨ق(تميمی،١۴١٢ق: ٣١١).

خلف لنا مؤلفات فی الفقه والفلسفة والسياسة والعلوم العربية.

ترک لنا ثروة کريمة اذ خلف کتابه «حل الطلاسم»، الخط الدفاعی الصلب ضد عادية التشکيک بالعقيدة. أثارت قصيدة «الطلاسم» لشاعر المهجر *إيليا أبوماضی* ضجة کبری واحتجاجات وانتقادات شديدة لدی علماء المسلمين الأعلام وخصوصاً لدی المرجعية الدينية فی النجف الأشرف. وقد قام *الشيخ محمد جواد الجزايری* بنظم خريدته الرائعة وأسماها «حل الطلاسم» ردّ فيها علی کل مقطع من قصيدة الطلاسم بأسلوب الحوار السلمی والفلسفی والأدبی معززاً بالأدلة والبراهين والحجج الدامغة واحترام الرأی المخالف. يعتبر هذا الکتاب من أهم مؤلفات *الجزايری* لأنه کتاب مرحلة النضج من حياته الفکرية، إذ ألفه فی شيخوخته وأودعه خلاصة ما انتهی إليه من نظرات وتأملات فلسفية(شبر، لا تا: ١٣٨-١٣٦).

موتيف البحر

استخدم *الجزايری* "البحر" رمزاً للوجود العام الطبيعی المنبسط، واجب الوجود لذاته وبذاته، النفس الانسانی، العالم الجسمانی والدنيا، ومن الملفت للنظر فی سياق عن رمزية البحر أن غالب الشواهد تصور لنا رمزية البحر الإيجابية بالنسبة إلی رمزيته السلبية. وفی صورته السلبية يصور لنا الشاعر البحر متماهياً بصورة العالم الجسمانی والدنيا بما فيه من ظلمات وحجب بغشواتها ولکن أکثر هذه الرموز يتجلی من أجل تصوير إرتباط الخالق والمخلوق، من حيث أن المخلوقات ظلّ وشعاع وأمواج للبحر ومن الشواهد التی تحتجّ لمصداقية ما نذهب إليه من أمر هذا التفسير قول *الجزايری* عن "البحر" بصورة الوجود العام الطبيعی المنبسط والواجب الوجود بذاته ولذاته:

فوقَ تيارکَ يا بحـــر أری بحراً سعيّا
أزليّاً لا يباريـــه قديمٌ أبديّا
شأنُه الفيضُ ولولا فيضُه لم تک شيّاً
شأنه الفيض ولولا فيضه لم تک شيِا

أنا أدری

(جزايری، ١٩٧٠م: ٧۶)

ذكر الشاعر فی بيت واحد بحرين ذوی دلالتين مختلفتين. البحر الأوّل هنا الوجود العام الطبيعی المنبسط علی هياكل الممكنات الطبيعية، من دون تعين فی حدّ، وأنه أول الصوادر من المبدع الأول سبحانه وإنما علی حساب ذاته متعين بجميع التعينات الوجودية الطبيعية حتی من مراتب ذاته دون انضمام شیء آخر اليه ينبعث الحقائق الخارجية وأفراده. بعبارة أخری هذا البحر هو الفيض المقدّس وهو من جانب الوجود المنبسط هو تجلّی الذات الإلهية الأحدية لنفسها وما يستتبع هذا التجلّی من ظهور استعدادات الأشياء واطلاق البحر علی الوجود المطلق شائع فی عرف الفلسفة العامة(حسن‌زاده آملی،١٣٨۶ ش، ج٢: ٧٩-٧٨).

البحر الثانی هنا الواجب الوجود بذاته ولذاته، إنما هو المجهول المطلق. فهو الوجود الذی لا يدخل تحت التمثيل والإشارة إلا من ناحية شهود آثاره ولوازمه وأنه تعالی منزه من الحدود والصور. هذا البحر هو الفيض الأقدس وهو من جانب الواجب الوجود بذاته، أنه التجلّی الحُبّی الذاتی، الموجب لوجود الأشياء واستعداداتها فی الحضرة العلمية، ثمّ العينية. ففی الأبيات الآنفة الذكر يذكر الشاعر صفة القدم والأزلية والأبدية، ويذكر أيضا صفة الخالقية معتمداً علی نظرية الفيض الأفلوطينية.

يوظّف الشاعر "البحر" أيضاً رمزاً "للعالم الطبيعی والمادة" التی يؤكد إستلاب صورة البحر بما أنها ظلمانی؛ حيث يقول:

وطنی غيبٌ ولكن ... كنهُ معناهُ الظهورُ
كلُ ما فيه من الأشباحِ ... لألاءٌ ونورٌ
سرتُ فی ظلمةِ هذا الـ ... ـبحرِ والقصدُ العبورُ
وإلی موطنی الغيـ ... ـب مصيری

أنا أدری

(جزايری، ١٩٧٠م: ١٠٣)

إن النفس الانسانية المجردة عن المادة ولواحقها مرتبة من الوجود تدلت عن ذلک العالم الشامخ الإلهی وطور من النور بواجب الحكمة التی لا يمكن تحصيل الخيرات والفضائل إلّا بهبوط النفس إلی عالم الطبيعة وإرتباطها بالأبدان. النفوس الانسانية لما سلكت دربها الطبيعی المسمی بالدنيا وعالم الشهادة وارتبطت بالمادة واحتجبت بغشاوتها

واختلط ذلک النور بهذه الظلمة ضعف شهودها فتبعد عن فضاء العقول فإذا طهرت أخلاقها وخلصت سرائرها وتجردت عن لبوسات الطبیعة تعالت عن اختلاف الأزمان والأمکنة، سارت علی نظام العدل بین أوامر الإلهیة ونواهیها تعالت بکمالاتها وتقربت إلیه تعالی وفازت بالحیاة الطیبة. فسیر النفس متواصل من عالم الغیب إلی عالم الطبیعة وفی عالم الطبیعة ومنه إلی عالم الغیب کما إن وجودات الأشیاء لها سیر علی حسب استعدادها نحو الکمال المطلق بید أن سیرها تطور وتغیر طریقه عند إرتباطها بالطبیعة.

فـ"البحر" هنا رمز الدنیا، بعبارة أخری نفس المادة التی هی أظلم الظلمات وأوحش الموحشات المعبر عنها "بالظلمة". وفی الحقیقة الظلمات المشهورة عبارة عن ظلمات عالم الطبیعة ومقام الکثرة، فعالم المادة لخسّة وجودها ونقصان فعلیّتها دارالوحشة والظلمة ومرکز الشرور ومنبع الدناءة ویدور علیها رحی الذمیمة والکدورة. کون هذا العالم بالأجرام والأجسام تعتبر غواسق فإذا ظهر سلطان الآخرة وانکشفت الحقیقة بارتفاع الحجب عن بصیرة القلب وتنبّهت الأعین عن نوم الغفلة وبعثت الأنفس عن مراقد الجهالة وعرفت حالها ومرجعها ومآلها وانکشفت ذمیمتها وقبحها وظلمتها ووحشتها؛ علی خلافه الحقائق والرقائق والأرواح والأشباح کلها أنوار(السبزواری،۱۳۷۵ش: ۴۷۰-۴۶۹). وعلی الانسان أن یتدرّج من ظلمات عالم الطبیعة متدرّجا مرتقیاً إلی عالم الربوبیّة وسیر النفس متواصل من عالم الغیب إلی عالم الطبیعة وفی عالم الطبیعة ومنه إلی عالم الغیب. حضور البحر هنا حضور غیر ایجاب وهو متصف ب"الظلمة" فی حین البحر سبب الری واکسیر الحیاة والوجود، نراه فی الرؤیة الرمزیة للشاعر "ذا ظلمة".

وجد الحکماء الانسان من حیث جسد الجسمانی جامعاً لنظائر جمیع ما فی العالم الجسمانی، وسموه عالماً صغیراً. فوجدوا فی الانسان ما یجری مجری النار وهو المرارة بالکبد لأنها حارة یابسة، وما یجری مجری الأرض وهو طحال، وما یجری مجری الهواء وهو الدم لأنه حار رطب، وما یجری مجری الماء وهو البلغم. فالشبه بین الانسان والعالم الجسمانی، کما ذکر فی قطعة شعریة *للجزایری*:

شبهی بالبحرِ غیبٌ ... من خفایا نشأتی
دلّنی یوماً علیه ... رائدٌ من نظراتی
فوجدت السرّ فی الدقـ ... ـات من نبض الحیاة

مودعـــاً فيـــه ولكـــن لـــــــيس يـــــــدری

أنا أدری

(جزايری، ١٩٧٠م: ١٠٣)

فالشاعر شبه بين الانسان والعالم الجسمانی المسمی بحـراً، وإنـه مـن الغيـب وخفايـا النشأة الطبيعة للإنسان لإرتكاز الكثير من جهاته علی ماوراء الطبيعة.

يأتی "البحر" كذلک فی سياق آخـر رمـزاً "للـنفس الانسـانی" المجـردة عـن المـادة ولواحقها التی ارتبطت بالأبدان لتحصيل حقيقة قيمة:

من بَنی كوخاً علی الشـا طــئ أو شــيّد قصــراً

تَخِـــذَ الهيكـــلَ فيـــه لِعبـــور البحـــرِ جســـراً

وإذا مـــا عبـــر البحـــــ ـر علی الهيكـلِ جهـراً

ســار فــی الغيــبِ وفــی الغيـــــــبِ مُنـــــــاه

أنا أدری

(نفسه: ١٠٣)

إن هذا البدن أداة للروح، والقوة العلمية والعملية للروح تكمل ببركة هـذا البـدن فـإذا عجز هذا البدن عن العمل فسوف لا تصل الروح علی كمالاتها. فـالنفس الإنسـانية ليسـت جسماً ولا منطبعة فی جسم بيد أنها ارتبطت بالطبيعة ربط تصرف وتـدبير ليحصـل منهـا ومن المادة البدنية نوع كامل جسمانی يقوی علی استكمالها، وتحصيل مـا بقـی لهـا مـن الخيرات والفضائل التی لا تنالها إلا بإرتباطها بالأبدان واستعمالها آلات. وفـی موضـع آخـر يعبر *الجزايری* عن هذا البدن ب"الـزورق" والـنفس ب"الرّبـان". والـزّورقُ أداة الترحـال، ووسيلة التطواف فی الأنهار عامّة والرّبان يدبر ويسخر الزورق وبدونه يسقط فی أمواج البحر:

أنا والجسمُ علی الدربِ كرّبـــــــــانِ وزورقِ

نلتقی شطر مـن الدهـــ ـــرِ وبعـــد نفتـــرّق

شــأنی التــدبيرُ والتــد بيــرُ عرفــانٌ ومنطــق

وهـــــو كالآلـــــةِ لا يملـــــكُ حسّـــــاً

أنا أدری

(الجزايری، ١٩٧٠م: ١٢٧)

دلت البراهین العقلیة علی أن النفس الناطقة جوهر مجرد قائم بذاته غیر قابل للموت وأن لها میزة الإدراک والإرادة وتدبیر حیاة الجسد وتسخیره فی أعمالها الآلیة. ألا تری أن النفس مادام فی الجسد کان الجسد نورانیا، یبصر بالعینین، ویسمع بالأذنین، ویکون طیبا فإذا خرج من الجسد نتن البدن، ویکون باقیا فإذا فارقه الروح بلی وفنی، ویکون حیا وبخروجها یصیر میتا ویکون عالما فإذا خرج منه الروح لم یعلم شیئا، ویکون علویا لطیفا توجد به الحیاة وأجسادهم قد بلیت فی التراب(مجلسی،۱۴۰۳ق، ج۵۸: ۲۵۶).

موتیف الشاطئ

الشاطئ لغة هو الیابس علی طول حافّة محیط أو بحر أو بحیرة أو نهر. من جانب أدبیة فالشعراء وقفوا وقفات مختلفة عنده، صوّرا فیه مظاهره الواسعة المتنوعة، من أبرز هذه الصور هی حالة رومانسیة الحنین للوطن. قد اقترن الشاطئ عند ذکره بالوصول لبرّ الأمان من بعد عسر أو محنة، نجاة من شرّ أو مشکلة أو حادث أو موقف محرج وتبسیط الامور وتسهیله وما شاکل ذلک، والسعة والوفرة وایضاً السفر والرحیل.

والجزایری استخدم "الشاطئ" فی منجزه الشعری رمزاً للحدّ امکان الوجود الطبیعی العام وهو مثار الماهیات ومنشأ ظهور جمیع الأشیاء، وعالم المادة والدنیا، والزمن الماضی والمستقبل، واعتباریة الماهیة، فیقول:

أرتئی شاطئَ بحرٍ — راقَ للناظرِ حسناً
أرتئی أمواجَه تد — فقُ مِن هَنّا وهَنّا
أرتئی أنهارَه — جاریةً أعلی وأدنی
أین هذا البحرُ ذو الشّا — طئِ عنّا

أنا أدری

(جزایری، ۱۹۷۰م: ۸۶)

البحر هنا الوجود الطبیعی العام، والشاطئ حدّ امکان الوجود الطبیعی العام وهو مثار الماهیات ومنشأ ظهور جمیع الأشیاء والحقائق المادیة الطبیعیة من الأفلاک والعناصر والمرکبات من الانسان والدواب والشجر والجماد وغیر ذلک کانت الحدود حصصاً من ذلک الحد.

الأنهار والأمواج انحاء تعينات البحر وتطوارتـه، رامـزاً لـه إلـى الوجـودات الخاصـة مـن الطبيعيات والمقيدات الغير المتناهية. فكما أن الأمواج والأنهار عبارة عـن إنبسـاط البحـر المحيط بصور كمالاته المائية وخصوصياته البحرية، فكذلک الموجودات والمقيدات عبـارة عن انبساط الوجود المطلق بصور كمالاته الذاتية(آملی، ١٣٨٦ش: ٢٠٧) والبحر هو المـوج والأنهار، والموج والأنهار نفسهما البحر، والأمواج هی أطوار البحر وأشكاله وصـوره وشـؤونه وحركاته، ليس لها حقيقة مستقلّة بمعزل عن البحر، لكنّ الرائی غير الفطن للظـواهر، قـد تخدعه حركة الأمواج فيغفل عن حقيقة البحر، أنّ البحر كان منذ الأزل وسيبقی هو البحر لن يتغيّر، أمّا الموجودات الحادثة وهی صنائع الخلق وظواهره، فهی الأمواج والأنهـار التـی يظهر البحر فی صورتها، وهذه الأمثال يشير إلى حقيقةَ البحر و وحدته(الجنـدی،١٩٨٢م: ١٨٦).

الشاطئ والأنهار إنّما يتحولان إلى عنصرين رمزيين لإعتبارية الماهية وأصـالة الوجـود، إذ ذاک الوجودات الخاصة المسماة أنهاراً بصفة الماهيـات مـن التعـدد، والتكثـر والتبـاين والاختلاف، وتتصف الماهيات المنتزعة من حدودها المسماة شواطئ. وأن الماهيات ليست من الذوات العينية إنما هی معقولة من الوجود. ومنتزعة من حدوده، وإنما لحقهـا الوجـود بالعرض من طريق تعلقها فی العقل بمراتب الوجود وانتزاعها من حدوده:

أيّهـا البحـرُ حواليـــ ـكَ حسابٌ منطقـیّ
بـينَ أنهـارِکَ والشـا طـئ والأمـرُ جلـیّ
إنّمـا الإدراکُ للشـا طـئ أمـرٌ عرضـیٌ
وَلأنهـــارک أمـــرٌ جـــــــــوهریّ

أنا أدری

(جزايری، ١٩٧٠م: ٩١)

هذه الأبيات يشير إلى نظرية أصالة الوجود. إن لنظرية أصالة الوجود واعتبارية الماهيّة، دوراً كبيراً فی حل الكثير من المسائل الفلسفية والكلامية المعقّدة وحاصل هـذه النظريـة أن الوجود هو منشأ الآثار الموجودة فی الخارج، وهـو الأصـل الـذی تنتـزع منـه مفـاهيم الاشياء, وليست الماهية إلا الحد المنتزع من الموجود الخارجی فالوجود هو الحقيقـة فـی العالم العينی، وهو المنشأ لترتب الآثار الخارجية، أما الماهية فهی أمر اعتبارى منتزع مـن

الوجود، فلا تترتب علیها الآثار الخارجیة وإنما الآثار تترتب علی منشأ انتزاعها وهو الوجود. فالماهیة متحققة بالعرض بتحقق الوجـود ومجعولـة بـالعرض بجعـل الوجود(الطباطبـائی، ۱۳۸۴ش: ۳۲۸).

وقد إتّخذ الشاعر فی موضع آخر الشاطئ رمزاً للعـالم المـادة والجسـم، بعبـارة أخـری الدنیا:

أنـا والهیکـلُ ضـدّا ... ن ظـلامٌ وضـیاءٌ
ضـمّنا شـکلُ قیـاسٍ ... صـحّحته الحکمـاءُ
أنتج الانسانُ فی الشا ... طیءِ یقضی مـا یشـاءُ
فهـو بـینَ النـورِ ... والظلمـةِ سـار

أنا أدری

(جزایری، ۱۹۷۰م: ۷۶)

الإنسان یأتی إلی شاطئ الدنیا فهو مرکب من ظلمة الجسم ونـور الـنفس. أراد الشـاعر من ضمیر المتکلم، النفس وهی عند الحکماء کمال أول لجسم طبیعی آلی من جهـة مـا یتغذی وینمو أو یحس ویتحرک بالإرادة أو یعقل الکلیات ویستنبط الآراء. الـنفس جـوهر روحانی بسیط تختلف عن طبیعة الجسد ومغایر لوجود الجسد. إن الـنفس جـوهر بسـیط خالدة لا تموت بموت البـدن وهـو جـوهر مرکـب؛ علاقتهـا بالجسـد علاقـة عرضـیة، وان طبیعتها تختلف عن طبیعته. بسبب جوهریة النفس الناطقه لا یمکن وصـولها إلـی ذلـک البدن إلا بواسطة الروح الحیوانة، لأنها نور محض والبدن کثیـف مظلـم. ولا مناسـبة بـین النور والظلمة(ابن عربی،۲۰۰۳م: ۱۰۷-۱۰۶). موتیـف "الشـاطئ" یرمـز للزمـان الماضـی والمستقبل، والشاعر فی البیت الثانی شرح هذا الرمز بما أنه "الغد المجهول والأمس":

إن یکن للهیکـلِ المشـ ... ـهـودِ منّـی شـاطئان
ألغـدُ المجهـولُ و الأمـ ... ـسِ اللـذان اکتفـانی
فلنفسـی نشـأةٌ تَسـمُو ... بهـا فـوقَ الزمـان
لا تـری فیهـا غـداً مـن ... بعـدَ أمـس

أنا أدری

(جزایری، ۱۹۷۰م: ۱۳۱)

الجسم محدود لا محالة، لأنه محصور بالطول والعرض والارتفاع ومحدود بالزمان ولا علم له بما سواه. إن الجسم لا ينفک عن الحرکة بناء على القول بالحرکة الجوهرية فکلما فرض جسم کان حادثا زمانيا ليست موجودة قبل الأشياء ولا أصلا أزليا للکائنات. أما النفس تستضیء من العقل والعقل جوهر بسيط مدرک للأشياء على الحقيقة، درّاکة للأمور بلا زمان، وذاک أنها فوق الطبيعة وفوق الزمان والمکان وکانت أفعالها فوق الحرکة والزمان فاذن ملاحظتها الأمور ليست بسبب الماضی والحاضر والمستقبل، بل الأمر عندها السواء. فعبر الشاعر عن الزمانين المکتنفين بالجسم أی الماضی والمستقبل بالشاطئين.

نتيجة البحث

إتّخذ الشاعر العراقی *الجزايری* من الموتيف أداة تخدم الموضوع الشعری وتؤدی وظيفة أسلوبية تکشف عن الإلحاح أو التأکيد الذی يسعى إليه. وقد ظهرت الموتيف فی شعره بشکل واضح تجعل القارئ والمستمع يعيش الحدث الشعری المکرّر وتنقله إلى أجواء الشاعر الفلسفية. فکل موتيف يحمل فی ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعری، ولولا ذلک لکان تکراراً لجملة من الأشياء التی تؤدی إلى معنى أو وظيفة فی البناء الشعری.

وقد وجدنا *الجزايری* فی منجزه الشعری يرکّز على بعض الموتيفات وهو من الشعراء المعاصرين الذين فلسفوا نظرتهم إلى البحر والشاطئ وما يتعلّق بهما، فرمز بالبحر إلى الوجود العام الطبيعی المنبسط، واجب الوجود لذاته وبذاته، النفس الانسانی، العالم الجسمانی والدنيا؛ ورمز بالشاطئ إلى حدّ امکان الوجود الطبيعی العام وهو مثار الماهيات ومنشأ ظهور جميع الأشياء، وعالم المادة والدنيا، والزمن الماضی والمستقبل، واعتبارية الماهية ومنحه قواماً فلسفياً، بحيث هذه الموتيفات تحمل فی ثناياها دلالات فلسفية وعرفانية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعری.

المصادر والمراجع

ابن عربی، محی الدین. ۲۰۰۳م، **المعرفة**، بتحقیق وتقدیم محمد أمین أبوجوهر، دمشق: دار التکوین.

اسماعیل، عزالدین. ۱۹۷۲م، **الشعر العربی المعاصر قضایاه وظواهره الفنیة والمعنویة**، بیروت: دار الثقافة.

آملی، سیدحیدر. ۱۳۸۶ش، **جامع الأسرار ومنبع الأنوار**، تصحیح هانری کربن و عثمان یحیی، تهران: انتشارات علمی و فرهنگی.

الأمین، محسن. ۱۹۹۵م، **اعیان الشیعة**، بیروت: مطبعة الانصاف.

الجزایری، محمد جواد. ۱۹۷۰م، **حل الطلاسم**، بیروت: مکتبة الاتحاد.

الجندی، مؤید الدین. ۱۹۸۲م، **شرح فصوص الحکم لمحی‌الدین‌بن‌عربی**، مشهد: طبعة جامعة مشهد.

حسن‌زاده آملی، حسن. ۱۳۸۶ش، **مآثر الآثار**، تهران: قلم.

خمینی، روح الله. ۱۳۷۵ش، **تفسیر سوره حمد**، تهران: مؤسسه تنظیم و نشر آثار امام خمینی(ره).

السبزواری، ملا هادی. ۱۳۷۵ش، **شرح الأسماء**، قم: نوید اسلام.

شبر، جواد. لا تا، **ادب الطف**، الجزء العاشر، بیروت:لا نا.

طباطبایی، محمدحسین. ۱۳۸۴ش، **نهایة الحکمة**، قم: مؤسسه النشر الاسلامی.

عشری زاید، علی. ۱۹۷۸م، **عن بناء القصیدة العربیة الحدیثة**، القاهرة: مکتبة دار العلوم.

مجلسی، محمد باقر. ۱۴۰۳ق، **بحار الأنوار**، ط۳، بیروت- لبنان: مؤسسه الوفاء، دار احیاء التراث العربی.

الکتب الإنجلیزیة

Oxford advanced, Eighth edition.

المقالات

الأسود، عبدالقادر. ۲۰۰۸م، «**البحر فی الأدب العربی**»، مجلة الموقف الأدبی، السنة الثامنة والثلاثون، العدد ۴۵۰.

بلاوی، رسول. ۱۴۳۳ق، «**موتیف الإغتراب فی شعر یحیی السماوی**»، مجلة العلوم الانسانیة الدولیة، العدد ۱۹، صص ۷۷-۹۳.

بلاوی، رسول. ۱۴۳۴ق، «**موتیف النهر والبحر فی شعر یحیی السماوی**»، مجلة العلوم الانسانیة الدولیة، العدد ۲۰، صص۱-۱۸.

پارسانسب، محمد. ۱۳۸۸ش، «**بن‌مایه: تعاریف، گونه‌ها، کارکردها و...**»، فصلنامه نقد ادبی، س۱، ش۵.

تقوی، محمد و الهام دهقان. ۱۳۸۸ش، «**موتیف چیست و چگونه شکل می‌گیرد**»، مجله نقد ادبی، العدد ۸، صص ۷-۲۷.

تمیمی، جعفر صادق حمـود. ۱۴۱۲ق، «**معجم الشعراء العراقیین المتوفین فی العصـر الحـدیث**»، المعرفة.

الشامی، حسن. ۲۰۰۷م، «**مفاهیم أساسیة فی دراسـة الموروث الشفهی**»، مجلـة الخطـاب الثقـافی، العدد الثانی، صص۶-۵۹.

المواقع الالکترونیة

literary-devices.com/content/motif.